الرياض

الاحد ٢٧ المحرم ١٤٢٧هـ - ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م - العدد١٣٧٦١

# العروبة مواطنة وليست عرقاً

ميسون أبوبكر

تشهد البلاد هذه الأيام مراسم عرس، ومواكب احتفال، وساحات فكر تعج بأدباء ومثقفين، ومعارض تراث هي بوابتنا الى الماضي العريق.

ضمن فعاليات النشاط الثقافي لمهرجان الجنادرية الوطني للتراث والثقافة في قاعة الملك فيصل وفي ندوة هي من سلسلة ندوات أقيمت بعنوان (وحدة الأمة العربية والإسلامية رؤية مستقبلية) كانت لي مداخلة استأذنت فيها الحضور لأتحدث بلغة الأدب والشعر لأن للشعر طريقة خاصة في تحريك مشاعر الناس وله لغة قريبة إلى القلب، تصافح الفكر.

شجعتني على ذلك كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله - حفظه الله - التي ألقاها في حفل استقبال ضيوفه الكرام في قصره بالرياض، وقد ورد فيها «المفكرون والمثقفون عليهم مسؤولية خاصة في رسم الطريق واختراع الحلول.«

استوقفتني هذه العبارة الرائعة طويلاً وقد لمست فيها عظمة هذا الملك ورجاحة عقله وسليم منطقه، نعم إن المسؤولية التي تقع على كاهل المثقفين كبيرة جداً لما لهم من دور في توجيه المجتمع ورسم ثقافته، وتوظيفهم الثقافة في صالح وطنهم الكبير.

لقد أثبتت الجنادرية أنها تظاهرة ثقافية حقيقية جمعت عدداً من الأدباء والمثقفين والأستاذة والسياسيين واجتمعوا بصفتهم العربية دون أن تميز بينهم جنسية ما.

أدار الندوة أ.د. وحيد حمزة هاشم وشارك فيها كل من د. كلوفيس مقصود ود. محمد اسماعيل آل شيخ، ود. حقار محمد أحمد، كان الحديث عن اتحاد مجموعة من الدول تجمعهم مساحة جغرافية.. الاتحاد الأوروبي كمثال، وعن اوضاعنا العربية واتحاداتنا التي تغيب كان حديث الدكتور كلوفيس مقصود ذا شجن، تحدث خلاله عن جراحاتنا العربية وانكساراتنا وانهزاماتنا وقضايانا التي تئن تحت وطأة الاحتلال، تحدث عن فلسطين والديمقراطية الفلسطينية التي تمكنت من فرض وجودها موخراً وكيف أيضاً عوقب الفلسطينيون من أجل ديمقراطيتهم من قبل مدعي التبشير بالديمقراطية من الغرب.

تحدث عن انتماء الإنسان العربي للبلاد العربية جميعها لأن العروبة ليست عنصرية وليست مقيدة، نحن قوم تجمعنا ثقافة وحضارة ولغة وديانة وتاريخ وهم مشترك يضعنا جميعنا أمام مجابهات مصيرية واحدة لابد وأن نتخطاها لنصل بر الأمان.

نحن نجابه عقبات كبيرة وتحديات كثيرة متهمين بعقيدتنا وشرائعنا وسلوكنا وعنصريتنا وأفكارنا الإرهابية تتجه الكثير من أصابع الاتهام الأجنبية نحونا لتديننا.

كيف نستعيد إذاً احترام العالم لنا؟ لابد أن نخلق لغة نصل بها إلى ما وراء البحار والقارات لتغيير أفكار كل من لا يعرف حقيقتنا وسماحة ديننا الإسلامي، لغة ترقى بنا.

لابد وأن نعطي صورة مشرفة عنا فنحن أصحاب مبادئ وأخلاق نستقيها من ديننا القويم.

نحن لا نعرف الكراهية ولكننا غاضبون من التحيز وسياسات التفكيك والتفتيت، غاضبون من استعمار فكرنا واحتلال أراضينا، وانتهاك حرمات ديننا الإسلامي والإساءة لنبينا الكريم، غاضبون من المعاملة العنصرية لمواطنينا المسلمين على أراضي الغرب. لا بد وأن نطالب بحماية حقوقهم المدنية والدستورية وأمنهم وحريتهم.

حان الوقت للننهض بفكرنا، لنعيد حقبة من التاريخ كنا فيها أفضل البشر ثقافة وعلماً وحضارة، يقول فدريكو جارسيا لوركا «إن غزو الإسبان الكاثوليك لغرناطة العربية هي لحظة شؤم فقد فقدت اسبانيا على إثرها حضارة جديرة بالإعجاب.«

لابد وأن نؤسس لغة ثقافية تعبر العالم كهوية لنا، مسؤوليتنا هي مشروعنا الوطني الذي يجب ألا نغفله، سيسأل أمام الله يوم العرض كل منا عن عمله فيما علم.

نحن سفراء الكلمة وجنود الوطن، لتكن إذا أقلامنا دعوة تصحيح وتأسيس لا ثورة وجوح.

نحن مواطنون متجذرون أينما كنا في الوطن العربي لا تفرقنا حضارة ولا لغة ولا ديانة، لقد تحدث أ.د. آل شيخ عن نجاح الاتحاد الأوروبي اقتصادياً وسياسياً ومشاركة أحزابه بفعالية في البرلمان الأوروبي رغم أنه لا يعتبر أمة واحدة ولا قومية واحدة ولا تجمعه ثقافة مشتركة أو لغة أو دين، على عكس الدول العربية التي يجمعها كل شيء لذا سيكون اتحادها أكثر سهولة وسلاسة ونجاحاً.

»أحلم أن أجوب عالمنا العربي ببطاقتي الشخصية» هذا قول د. حقار ومن لا يحلم بذلك استاذي الفاضل، حلمنا واحد وآمالنا تكاد تطالعها السحب، ما حدودنا إلا رسوم وهمية على خارطة صماء سنزيلها بالممحاة والإرادة بإذن الله.

الكلمات جميلة والمشاريع كبيرة وعظيمة والأحلام عربية مشتركة تحدثت عنها هذا الندوة المميزة التي أشرف عليها ورعاها الحرس الوطني الذي تحول بجدارة لحارس للثقافة الوطنية.

أقف أمام أفراده وقفه إعزاز وإكبار على ما يقومون به من جهود، فقد تحولوا لخلية نحل دائبة النشاط، وسخروا كل طاقاتهم لانجاح هذا المهرجان الذي وفد إليه الكثيرون من أبرز شخصيات عالمنا العربي.

هي دعوة لتكون الوحدة العربية مشروعنا القادم واسطورتنا القومية، تحضرني اللحظة إحدى عبارات الحكمة التي قالها الروائى البرازيلي باولو كويلو «إذا أردت تحقيق أمر ما فإن العالم كله يطاوعك في تحقيق رغبتك.«

حلمنا جميل وليس من مستحيل في هذه الحياة، هو قاب قوسين أو أدنى.

فلسطينية الأصل أنا، كويتية المولد، نجدية الإقامة، عربية الأصل والتاريخ.. أقسم أن يكون قلمي وثقافتي وانتمائي العربي هو رسالتي الأولى تلبية للمبادئ التي أرساها خادم الحرمين الشريفين عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - ولدعوته أهل الثقافة والفكر تحمل توجيه الأمة وإبراز الوجه الحقيقي لها وجه التسامح والعدالة والوسطية، ومحاربة الأرهاب، ولغته المريضة التي يُخشى من تفشيها.

كم أتمنى أن تعبر هذه الكلمات نوافذ قلوكم وتجمع بيننا كعرب مجتمعين ليس أعراقاً مختلفين.